ISSN: 3105-1073 (OnIline)
Journal of Al-Itqan for Human Sciences
available online at
https://iraqiqsa.org/Journal/index.php/AIJHS/index
مجلة الاتقان للعلوم الإنسانية تصدرها جمعية علوم القران العراقية

المقاصد القرآنية في تفسير نظام القران للإمام عبد الحميد الفراهي رحمه الله

د. علياء غانم محمد
وزارة التربية

Quranic Objectives in the Interpretation of the System of the Quran by Imam Abdul Hamid al-Farahi, may God have mercy on him

Dr:Alia Ghanem Muhammad
Alia Ghanem@aliraqia.edu.iq

Research summary

Praise be to God, who has enshrined in His Book the secrets of eloquence, making it a source of guidance and an eternal message that endures throughout time. I bear witness that there is no god but God alone, without partner, and that Muhammad is His servant and Messenger. Now then:

There is no doubt that the best thing to which all efforts have been devoted, time has been devoted, and precious things have been spent, is the Book of God Almighty. It is this Book that scholars have recognized the value of, and have devoted themselves to, learning, understanding, researching, interpreting, and explaining. They have extracted its benefits and extracted a small portion of its treasures. This is despite their dedication to it and spending their lives on it. This is only due to the vastness of the words of our Lord Almighty, and the inability of humankind to encompass the pearls and benefits contained therein. It is the inexhaustible source. There is no doubt that harnessing all these sciences that have contributed to the interpretation of the Holy Quran is intended to clarify the intent of God Almighty and understand His commands and prohibitions. By understanding the objectives, the intended goal is achieved, and the ultimate goal is realized: the well-being of the individual, family, and society. These objectives govern sound belief, good worship, and adherence to values, ensuring the well-being of this world and the hereafter. The record of scholars has immortalized many who devoted themselves to the Holy Quran, including the distinguished Imam Abdul Hamid al-Farrahi (may God have mercy on him), who attained a prominent position among the scholars of his time and was praised repeatedly. The two researchers chose the title of his interpretation, "The System of the Quran," and resolved to do so, hoping to add something to the Islamic library in this regard. **Keywords: objectives - Quran - interpretation - religious system**

ملخص البحث

فمَّما لا شك فيه أنَّ أفضلَ ما صُرِفَتْ إليه الهممُ، وُبذِلَ فيه الوقت، وأنفق من أجله الغالي والنفيس، هو كتاب الله ﷻ، فهو الذي عرف العلماء قدر هذا الكتاب العظيم فعكفوا عليه تعلماً وتفقهاً وبحثاً وتفسيرا وبياناً، فاستنبطوا من فوائده، واستخرجوا نزراً من درر كنوزه، هذا مع انكبابهم عليه وإفناء أعمارهم فيه، وما ذلك إلا لسعة كلام ربنا ﷻ، وعدم استطاعة البشر الإحاطة بما فيه من درر وفوائد، فهو المعين الذي لا ينضب.

ولا شك ان تسخير كل هذه العلوم التي ساهمت في تفسير القرآن الكريم انما هو لبيان مراد الله ﷻ وفهم مقاصده أمرا أو نهيا. فبفهم المقاصد يحصل المقصود وتتحقق الغاية المتمثلة بصلاح الفرد والاسرة والمجتمع من خلال تلك المقاصد الحاكمة على سلامة الاعتقاد وحسن العبادة والتحلي بالقيم, مما يضمن صلاح الدنيا والآخرة.

ولقد خلد لنا سجل العلماء الكثير ممن نذر نفسه للقرآن الكريم، ومن بينهم الإمام المحقق عبد الحميد الفراهي رحمه الله، والذي حاز الرتبة المتقدمة بين علماء عصره, فتواتر ثناؤهم عليه, فاختار الباحثان أن يكون تفسيره (نظام القرآن) عنوانا , فعزما على ذلك لعلهما أن يضيفا شيئا الى المكتبة الاسلامية بهذا الصدد.

الكلمات المفتاحية: المقاصد– القران – تفسير – نظام الدين –

مقدمة

الحمد لله الذي أودع في كتابه أسرارَ البيان، وجعله علماً للهُدى، ورسالةً خالدةً على مرِ الزمانِ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريك له، وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه.

أما بعد:

فمَّما لا شك فيه أنَّ أفضلَ ما صُرِفَتْ إليه الهممُ، وُبذِلَ فيه الوقت، وأنفق من أجله الغالي والنفيس، هو كتاب الله ﷻ، فهو الذي عرف العلماء قدر هذا الكتاب العظيم فعكفوا عليه تعلماً وتفقهاً وبحثاً وتفسيرا وبياناً، فاستنبطوا من فوائده، واستخرجوا نزراً من درر كنوزه، هذا مع انكبابهم عليه وإفناء أعمارهم فيه، وما ذلك إلا لسعة كلام ربنا ﷻ، وعدم استطاعة البشر الإحاطة بما فيه من درر وفوائد، فهو المعين الذي لا ينضب.

ولا شك ان تسخير كل هذه العلوم التي ساهمت في تفسير القرآن الكريم انما هو لبيان مراد الله ﷻ وفهم مقاصده أمرا أو نهيا. فبفهم المقاصد يحصل المقصود وتتحقق الغاية المتمثلة بصلاح الفرد والاسرة والمجتمع من خلال تلك المقاصد الحاكمة على سلامة الاعتقاد وحسن العبادة والتحلي بالقيم, مما يضمن صلاح الدنيا والآخرة.

ولقد خلد لنا سجل العلماء الكثير ممن نذر نفسه للقرآن الكريم، ومن بينهم الإمام المحقق عبد الحميد الفراهي رحمه الله، والذي حاز الرتبة المتقدمة بين علماء عصره, فتواتر ثناؤهم عليه, فاختار الباحثان أن يكون تفسيره (نظام القرآن) عنوانا , فعزما على ذلك لعلهما أن يضيفا شيئا الى المكتبة الاسلامية بهذا الصدد.

الفصل الاول: التعريف بالإمام الفراهي رحمه الله وكتابه:

المبحث الاول : التعريف بالفراهي رحمه الله:

المطلب الاول: حياته الشخصية:

لا شك أننا بين يدي شخصية عظيمة من عظماء الهند في العصر الحديث؛ كان له أثر بالغ في إثراء المعارف، وإضافة نوعية في إغناء مجالات التدبر والتفسير، وكذا اللغة العربية على الرغم من كونه أعجميًا من شبه القارة الهندية، وفي هذا المطلب نعرض حياته بما يأتي:

أولا : اسمه وكنيته ونسبه ونسبته :

أ- اسمهُ:

الشيخ عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، الأنصاري الفراهي رحمه الله ، المعروف بحميد الدين الفراهي رحمه الله، أحد العلماء المشهورين [١].

ب-كنيتهُ:

كنى الامام الفراهي رحمه الله نفسَه بـ"أبي أحمد" تيُّمناً باسم المصطفى المبارك، ولم يكن من أبنائه من اسمه احمد [٢]، وقد ثبتت هذه الكنية ايضًا في مطلع قصيدة له وردت في ديوانه المطبوع بعنوان (في تطاول الطليان على طرابلس).

ج- نسبهُ:

يُنسَب الفراهي رحمه الله إلى عائلة معروفة في الهند تُسَمَّى "الأنصاري"، كما أشار إلى ذلك في بعض كتبه [٣].

د- نسبتهُ:أما نسبته فهي إلى قريته التي أبصر فيها النورَ، والتي تُعرَف بـ "فَرِيْهه"، وهي من قرى "أعظم كره" من مديريات الإقليم الشمالي في الهند المسمَّى بـ"أترابرديش". فيُنسَب الفراهي رحمه الله إلى هذه القرية ويُسَمَّى "الفراهي رحمه الله" [١].

ثانيا : اسرتهُ :

ترعرع الامام الفراهي رحمه الله رحمه الله في كنف أسرة علمية كريمة معروفة بنسبها وحسابها وعلمها وفضيلتها ومكانتها الاجتماعية، ويعتبر أهل هذه الأسرة من وجهاء القرية وأعيانها، وقد ابصر الامام الفراهي رحمه الله النور في هذه البيئة المشرفة، ونشأ وترعرع فيها في رخاء ورفاهية [٢].

ثالثا : صفاتهُ الْخِلْقِيَّة والْخُلُقِيَّة

أ - من صفاته الْخِلْقِيَّة:

يروى أن الفراهي رحمه الله كان أسمر اللَّون، ونحيل الجسم، ومتوسط القامة، وكامل اللحية، قليل الكلام، كثير الفكر، محبا للعزلة، ومهيباً ووقوراً، رشيداً ورزيناً [٣].

ب - من صفاته الْخُلُقِيَّة:

عُرف الفراهي رحمه الله في طيلة حياته، بفرط الذكاء، ونفاذ البصيرة، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغزارة

---

[١] نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: ١٣٤١هـ)، دار ابن حزم – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م: ١٢٦٧/٨.

[٢] ينظر: ذكر فراهي: شرف الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م: ٥٠.

[٣] ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني : ١٢٦٧/٨.

[١] ينظر: المصدر نفسه : ٨/ ١٢٦٧.

[٢] ينظر: مفردات القرآن: للإمام الفراهي رحمه الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م: ص: ١٦. ترجم له الدكتور محمد اجمل ايوب الاصلاحي.

[٣] ينظر: ذكر فراهي: شرف الدين الإصلاحي: ٦٧.

العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالماً ورعًا زاهدًا في الدنيا، قاصدًا في العيش، عازفا عن السمعة والشهرة، حسن العبادة، مع جود وغنى نفس وتواضع، بل كان موضع إجماع لدى معاصريه؛ حتى قال فيه العلامة شبلي النعماني: "مَن جلس إلى عبد الحميد؛ انصرف قلبه عن الدنيا" [٢].

ومما وصفه به المؤرِخ الشيخ عبد الحي الحسني [٣] أنه كان يتمتَّع بـ "جودة فهم، ووفور ذكاء، وزهد وعفة، وشهامة نفس ، لا سيما عن بني الدنيا وعدم اشتغال بما لا يعنيه" [٤].

ويقول الأستاذ عبد الماجد الدَّرْيابادي [٥]: "كانت شخصية الفراهي رحمه الله شخصيةً جذابةً، قلما رأينا مؤمناً قانتاً مثله، قيل في وصف أولياء الله: إنَّ الجلوس معهم يذكِّر الإنسانَ بالله سبحانه، وكان يَصدُق هذا الوصفُ على الفراهي رحمه الله صدقاً تاماً" [٦].

رابعا: وفاته:

مات رحمه الله تعالى في التاسع عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٤٩هـ, عن عمر تسع وستين عاماً، ودُفن في مدينة ماثورا في مقبرةِ الفقراء [٧]؛ تاركًا وراءهَ إرثاً فكرياً عظيمًا لم ينُشر إلا بعد وفاتهِ بسنواتٍ.

المطلب الثاني: ولادته نشأته العلمية:

ولد الامام الفراهي رحمه الله صباح يوم الأربعاء، ٦ جمادى الآخرة، سنة ١٢٨٠ هـ، الموافق لـ ١٨٦٢م ، في قرية " فريهه" من قرى مديرية" أعظم كده " في الإقليم الشمالي من شبه القارة الهندية من ولاية" أترابراديش" [١]. ونشأ وترعرع رحمه الله في بيئة إسلامية وتلقى تربية دينية من والديه الكرام، ولم يتوان عن أداء واجباته الدينية منذ صغره، وفي هذا الجو الديني أخذ نصيبه من العلم والمعرفة وأصبح رجلاً صالحًا وعالمًا تقيًا، فكان يقول عنه

---

[٢] ينظر: أجمل الإصلاحي، ترجم له في مطلع كتاب "مفردات القرآن" للفراهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م: ١٦-٢١.

[٣] الشَّريف عَبْد الحَيّ بن فخر الدين بن عبد العليّ الحسني الطالبي، باحث مؤرخ هندي، عربي الأصل، توفى سنة: ١٣٤١هـ، له تصانيف، منها "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر". ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م: ٢٩٠/٣.

[٤] نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني: ١٢٦٧/٨.

[٥] هو الشيخ عبد الماجد الدريابادي الهندي الحنفي، ولد في بلدة دريا آباد الهندية سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، تلقى علومه الابتدائية في البيت، ثم انتظم في الدراسة بمدرسة نظامية، واستمر في التعليم حتى نال درجة البكالوريوس سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م، توفى رحمه الله في سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م في لكنهو، ودفن في قريته دريا آباد. ينظر: سفر نامه حجاز: عبد الماجد الدريابادي، تقديم: سيد سليمان الندوي، ترجمة: سمير عبد الحميد ابراهيم، المجلس الاعلى للثقافة، الجزيرة - القاهرة ، ٢٠٠٤م:: ٣٩-٤١.

[٦] ينظر: مفردات القرآن: للفراهي، ترجم له الدكتور شرف الدين اجمل الاصلاحي:٢١.

[٧] ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني: ٨/ ١٢٦٧.

[١] ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني : ٨/ ١٢٦٧.

العلّامة سليمان الندوي [٢] : إنه كان آيةً من آيات الله [٣] وذلك لكثرة فضله، واتساع معرفته، وشدة تقواه، وعبادته الحسنة، وغنى نفسه، وتزايد رغبته في طلب رضا الله، فبلغ العلم والفضيلة والأخلاق والكرم واتباع السنة وإحياء الشريعة قلما يصل إليها العلماء والأولياء.

المطلب الثالث: مذهبُ:

لم يكن الإمام الفراهي رحمه الله مقلدًا لمذهب من المذاهب بعينه، ويظهر ذلك من خلال قوله :"وكنتُ في هذا على بصيرةٍ من ربي، غير متبع لأحد"[١].

إلا أنه عُرف بمذهبه الحنفي في الأمور التعبدية، غير أنه كان مجتهدًا غير مقلد في آرائه الفقهية عامة؛ وذلك يتناغم مع توجهه العام، وينسجم مع الطريقة التي اختطها لنفسه؛ وهي طريقة مثلى حافلة بحرية الرأي دون التقيد بمذهب معين أو بكتاب معين أو بما كتبه السابقون الأولون إن كان الحق الذي يتبين له خلافه، وقد صرح بذلك العلامة المغربي تقي الدين الهلالي[٢] في قوله :"لا ينتمي لمذهب، لكنه يتعبد على مذهب الحنفية؛ لأنه نشأ عليه، ويعتقد أن الأمر في ذلك سهل" [٣].

المبحث الثاني: سيرته العلمية وفيها خمسة مطالب:

المطلب الأول: وظائفه:

نال الإمام الفراهي – رحمه الله تعالى– حظاً كبيراً من الاحترام والتبجيل لدى عامة الناس وخاصتهم، وكان متفوقاً في كثير من صنوف العلوم والمعارف، وتولى وظائف كثيرة، ومن وظائفه التي تولاها ما يأتي:

- اولًا: في مجال التدريس:

وليَّ الامام الفراهي رحمه الله التدريس بمدرسة "الإسلام" بكراتشي (عاصمة السند آنذاك)، عام١٣١٤هـ ،

---

[٢] هو الاستاذ السيد سليمان الندوي الحسيني، أحد العلماء البارزين في علوم التفسير والتاريخ والأدب والكلام ونوابغ الفضلاء والمؤلفين في القارة الهندية. ولد يوم الجمعة سنة ١٣٠٢هـ ونشأ بدِسنه بكسر الدال وسكون السين المهملتين– وهي قرية من اعمال ولاية بهار. توفى رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ. ينظر ترجمته في كتابه: الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ::٩.

[٣] ينظر: إمعان في أقسام القرآن: للإمام عبدالحميد الفراهي رحمه الله، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م: ص: ١٥.

[١] نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: العلامة عبدالحميد الفراهي رحمه الله، الدائرة الحميدية – الهند; الطبعة: الأولى: ص: ١٥.

[٢] محمد تقي الدين الهلالي، محدث ولغوي وأديب وشاعر ولد في قرية «الفرخ» من بادية سجلماسة في المغرب عام ١٣١١ هـ، ١٨٩٣ م التي هاجر إليها أجداده من «القيروان» في تونس في القرن التاسع الهجري، وكانت الأسرة أسرة علم، حيث كان والده وجده من العلماء الفقهاء المعروفين، وافته المنية في منزله بالدار البيضاء بالمغرب يوم الاثنين ٢٥ شوال الموافق ٢٢ حزيران يونيو. ١٤٠٧هـ ينظر: تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ – ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٦ – ١٩٩٥ م): محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ: ٣/ ٢٣٦.

[٣] مفردات القرآن للفراهي، تحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ببيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م: ص: ٤١.

فدرّس فيها قرابة تسع سنوات. ثم عُيِّن أستاذا مساعدًا للعربية بكلية" علي كره "عام ١٣٢٤ هـ" [١]، وبقي بها سنتين. ثم انخرط في سلك تدريس العربية في كلية ميور إله باد بصفته أستاذا منذ ١ يونيو، ثم سافر إلى حيدر آباد وتصدر بدار العلوم وأقام بها مدة من الزمان[٢].

- ثانيًا: في مجال الإدارة والإشراف:

اختارته "إمارة حيدر آباد الدَّكَنْ" [٣] في عام ١٣٣٢هـ، عميداً لدار العلوم التي كانت تُعرَف بـ "الكلية الشرقية"، وكان الفراهي رحمه الله بجانب عمادته للكلية يدرِّس كذلك في هذه الكلية في مرحلة الدراسات العليا. ويُعَد أحد المؤسِّسين لـ "الجامعة العثمانية" الشهيرة في حيدرآباد، وإليه يرجع الفضل في جعل اللغة الأردوية لتدريس العلوم العصرية في هذه الجامعة[٤]. وقد بقى الفراهي رحمه الله في حيدر آباد قرابة الخمس سنوات، وغادرها في سنة ١٣٣٧هـ، إلى مسقط رأسه "فريهه"، حيث تسنَّم منصب إدارةَ "مدرسة إصلاح المسلمين" التي أنشأتها "جمعية إصلاح المسلمين" في بلدة "سراي مِيْر". وقد عكف الفراهي رحمه الله على خدمة هذه المدرسة بكل صدق وإخلاص، ووضع لها مقرَّرات تتميز عن مقررات جميع المدارس الدينية في الهند، وكان يُملي على أساتذة هذه المدرسة وطلابها الكبار دروساً في تفسير القرآن الكريم. كما اختُير رحمه الله في سنة ١٣٣٢هـ رئيساً لـ "دار المصنفين"[١] في مدينة أعظم كره، وترأَّسها حتى وفاته[٢].

المبحث الرابع: التعريف بنظام القرآن

سلك الفراهي رحمه الله مسلكًا مختلفًا عن منهج كثير من المفسرين في بعض المواضع, وهذا أمرٌ طبيعي, فلكل مصنف منهجه الخاص في التعامل مع النصوص التي يشرحها أو يتناولها في الدراسة. وبالإمكان توضيح منهج الفراهي رحمه الله في المطالب الآتية:

---

[١] جوزيف هوروفيتس: مستشرق ألماني يهودي، عمل في تدريس اللغة العربية واللغات السامية، وكان مهتماً بالنقوش الإسلامية، كتب عن مغازي الواقدي، وحقق جزأين من طبقات ابن سعد، وتركزت دراساته على الدراسات المتعلقة بالقرآن والسيرة النبوية. ينظر ترجمته في: موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي (المتوفى: ١٩٩٣م)، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة: الثالثة: ٦٢١.

[٢] ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني: ٨/ ١٢٦٧.

[٣] من أشهر الإمارات الإسلامية وأغناها في الهند قبل الاستعمار البريطاني. اشتهرت بثقافتها الممتازة، وجوامعها الكبيرة ومكتباتها القيمة ومؤسَّساتها العلمية. ينظر: حضارات الهند: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٥٧م: ٥٥٤.

[٤] ينظر: ذكر فراهي: شرف الدين الإصلاحي: ٧١.

[١] أحد أكبر مراكز التأليف والترجمة والبحث والتحقيق في شبه القارة الهندية، قام بنشر الكثير من الكتب القيمة لكبار علماء الهند ومؤلِّفيها، وله سمعة عالمية في الإنتاج العلمي الوفير المميَّز باللغة الأردوية والإنجليزية والفارسية. وهي تصدر مجلَّةً علميةً محكَّمةً باسم "معارف"، التي تُعَد من أشهر المجلات في شبه القارة الهندية. ينظر: المسلمون في الهند: أبو الحسن علي الحسني، الندوي(المتوفى:١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ١٤٠.

[٢] ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، للحسني :١٢٦٧/٨.

المطلب الأول: منهج الفراهي رحمه الله في التصنيف:

بعد دراستنا لكتاب نظام القرآن وجدناه يتميز بتقسيم مختلف, ويمكننا بيان ذلك بما يأتي ونبدأ بالتعريف ب اسم الكتاب ونسبته الى مؤلفه:

أولا: اسم الكتاب ونسبته الى مؤلفه:

لم يجد الباحثان صعوبة في تحديد اسم الكتاب ونسبته الى مؤلفه, كون المؤلف توفي متأخرا. وقد سمى كتابه: (تفسير نظام القرآن, وتأويل الفرقان بالفرقان).

ثانيا: اختيار السور:

من المعلوم للقارئ أن الفراهي رحمه الله لم يفسر جميع سور القرآن الكريم. وانما اختار السور التي تربط ببعضها بموضوعات محددة. وهي ثلاثة عشر سورة (سورة الفاتحة, سورة الذاريات, سورة التحريم, سورة القيامة, سورة المرسلات, سورة عبس, سورة الشمس, سورة التين, سورة العصر , سورة الفيل, سورة الكوثر , سورة الكافرون, سورة المسد).

ثالثا: منهجه في التقسيم التبويب:

لم يسلك الفراهي رحمه الله منهجا مطردا في تفسير السور التي اختارها. بل قسم كل سورة بحسب موضوع السورة. مع أنه اعتمد منهجا أقرب للمنهج التحليلي في التفسير.

الا أن ثمة مشتركات في التقسيم نذكرها بما يأتي:

- ذكر السورة كاملة أو مقطع منها غالبا.[١] قبل شروعه في التفسير.
- ذكر عمود السورة والموضوع الرئيس فيها, وتضمينه مناسبة عمود السورة لعمود السورة التي قبلها[٢].
- وجه الاستدلال على موضوع معين في السورة. ويفرده بعنوان خاص في تفسير كل سورة[٣].

رابعا: مقدمات الكتاب:

أورد الفراهي رحمه الله سبعة عشر مقدمة لكتابه, وهي:

المقدمة الأولى: في شأن النزول. [٤]

المقدمة الثانية: المآخذ الخبرية[٥].

المقدمة الثالثة: المآخذ اللسانية. وبين فيها أهمية حفظ لسان العرب واستعمال الجوانب اللغوية من نحو وصرف وبلاغة[١].

المقدمة الرابعة: في الكتب المنزلة. وقارن في هذه المقدمة بين القرآن الكريم والكتب السابقة[٢].

---

[١] ينظر: نظام القران, للفراهي:١١٩ – ٢١٣– ٢٤٧– ٣١١– ٣٣٧.

[٢] ينظر: المرجع نفسه: ٢١٣– ٣٧٣– ٤٢٥– ٥٥١.

[٣] ينظر: المرجع نفسه: ١٣٦– ٢١٧– ٤٥٢.

[٤] ينظر: المرجع نفسه: ٢٥.

[٥] ينظر: المرجع نفسه: ١٢٥.

[١] ينظر: المرجع نفسه:٣١–٣٥.

[٢] ينظر: المرجع نفسه: ٣٦.

المقدمة الخامسة: في أن القرآن الكريم قطعي الدلالة[٣].

المقدمة السادسة: المناسبة بين السور[٤].

المقدمة السابعة: في أن السورة لها نظام واحد فقط[٥].

المقدمة الثامنة: في نسبة القرآن الكريم الى الكتب السابقة[٦].

المقدمة التاسعة: في مقدار السور[٧].

المقدمة العاشرة: في تعليم القرآن الكريم[٨].

المقدمة الحادية عشرة: في أن المعروف ما عرفته العرب صالحا, والمنكر ما أنكرته العرب[٩].

المقدمة الثاني عشرة: خصوصية دلالة نظام السور[١٠].

المقدمة الثالثة عشرة: في أجزاء نظام القرآن الكريم[١١].

المقدمة الرابعة عشرة: في أسماء السور[١٢].

المقدمة الخامسة عشرة: في تعيين الخطاب المحتمل لأكثر من وجه[١٣].

المقدمة السادسة عشرة: في كيفية نزول القرآن الكريم[١].

المقدمة السابعة عشر: في تأويل القرآن الكريم بالحديث[٢].

المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال:

إنّ تفسير القرآن الكريم كما هو معلوم, مرتبط بالعلوم الإسلامية الأخرى كالفقه، وأصوله، والحديث، وعلم الكلام، وفنون اللغة العربية، المختلفة كالنحو والصرف والبيان والبديع... لذلك نجد الفراهي رحمه الله قد استدل بهذه العلوم على صحة الآراء التي يذكرها. ويمكننا ذكرها بما يأتي:

---

[٣] ينظر: نظام القران, للفراهي: ٣٩.

[٤] ينظر: المرجع نفسه: ٤١.

[٥] ينظر: المرجع نفسه: ٤٦.

[٦] ينظر: المرجع نفسه: ٤٨.

[٧] ينظر: المرجع نفسه: ٥١.

[٨] ينظر: المرجع نفسه: ٥٣.

[٩] ينظر: المرجع نفسه: ٥٧.

[١٠] ينظر: المرجع نفسه: ٥٩.

[١١] ينظر: المرجع نفسه: ٦٠.

[١٢] ينظر: المرجع نفسه: ٦٢.

[١٣] ينظر: المرجع نفسه: ٦٤.

[١] ينظر: نظام القران, للفراهي: ٦٨.

[٢] ينظر: المرجع نفسه: ٧٠.

- أولا: الاستدلال باللغة العربية:

قدم الفراهي رحمه الله كتابه (نظام القرآن) بمقدمات لسانية, وعدّ المقدمات اللسانية جزء من بيان معاني القرآن الكريم[٣].

وبين أهمية حفظ اللسان العربي خاصة في هذه الأزمان, لأن الجهل باللغة العربية يعني الجهل في فهم القرآن الكريم. وأكد على استعمال قواعد العربية من نحو وصرف وبيان وبديع ومعاني, لفهم النصوص القرآنية[٤].

الفصل الثاني: المقاصد القرآنية

في هذا الفصل نحاول أن نحيط بالمقاصد الخاصة بالسور التي اختارها الفراهي رحمه الله في تفسيره وهي ثلاثة عشر سورة (سورة الفاتحة, سورة الذاريات, سورة التحريم, سورة القيامة, سورة المرسلات, سورة عبس, سورة الشمس, سورة التين, سورة العصر , سورة الفيل, سورة الكوثر , سورة الكافرون, سورة المسد).

المبحث الأول: مقاصد سورة الفاتحة:

توطئة:

ان ترتيب سور القرآن الكريم له أهمية كبيرة في بيان مراد الخالق العظيم. فابتداؤه بسورة الفاتحة وختامه بسورة الناس له دلالات مهمة. منها أن سورة الفاتحة هي ديباجة القرآن الكريم والجامعة لعلومه اجمالا[١].

وهي سورة مكية في قول ابن عباس ﷺ, وقيل: مدنية. وهو قول مجاهد. وقيل نصفها مكي والاخر مدني, وقيل نزلت مرتين, مرة في مكة ومرة في المدينة[٢].

والراجح انها مكية لأن الصلاة فرضت بمكة بإجماع، ومحال أن تفرض الصلوات، ولا ينزل ما هو تمامها وبه قوامها. وهي سورة الفاتحة[٣].

لقول النبي ﷺ: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب، فهي خداج[٤] » يقولها ثلاثا)[٥]

المطلب الأول: المقاصد البلاغية في سورة الفاتحة:

أشار الفراهي رحمه الله الى أن تقديم سورة الفاتحة على غيرها من سور القرآن الكريم انما هو لمقاصد بلاغية وتشريعية. ومن المقاصد البلاغية:

---

[٣] ينظر: المرجع نفسه:٣١.

[٤] ينظر: المرجع نفسه:٣١.

[١] ينظر: نظام القران, للفراهي:٨٥-٨٦.

[٢] ينظر: تفسير السمرقندي: ١٥/١؛ تفسير الزمخشري:١/١؛ تفسير الرازي: ١٥٩/١٩؛ تفسير ابن جزي:٦٣/١.

[٣] ينظر: الهداية, لمكي بن ابي طالب: ٧٧/١؛ تفسير القشيري: ٢٧٩/٢؛ تفسير البغوي: ٧٠/١؛ تفسير ابن كثير: ١٨/١.

[٤] خداج: أي ناقصة. ينظر: مجمل اللغة, لابن فارس: ٢٨٠.

[٥] صحيح مسلم, من حديث ابي هريرة ﷺ , كتاب الصلاة, باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة: رقم الحديث (٣٩٥), ١/ ٢٩٧.

- أولا: براعة الاستهلال:

ونعني ببراعة الاستهلال هو أن يأتي المتكلم في ابتداء كلامه بقرينة تدلّ على مراده في سائر الكلام الذي بعده[١].

" فتكون بالبدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود الأول من النص الأدبي، وإبداع يجذب الانتباه، ويأسر المتلقي سامعا أو قارئا، مع حسن سبك، وعذوبة لفظ، وصحة معنى"[٢]

وذكر الفراهي رحمه الله " إن هذه السورة ديباجة القرآن ... ومن حيث انها ديباجة القرآن لجميع علومه هي قرآن مستقل, كما أن ديباجة الكتاب من حيث أنها هي شيء زائد عليه ..."[٣]

وهو يشير الى مقصد براعة الاستهلال من خلال تقديم سورة الفاتحة , واعطاء صورة اجمالية عما فصل لاحقا في السور الاخرى. لأن الديباجة بهذا المعنى تعني براعة الاستهلال فهذه " السورة وضعت في أول السور لأنها تنزل منها منزل ديباجة الخطبة أو الكتاب، مع ما تضمنته من أصول مقاصد القرآن كما علمت آنفا وذلك شأن الديباجة من براعة الاستهلال"[٤]

ولم يكن الفراهي رحمه الله أول من قال بمقصد تقديم سورة الفاتحة والدال على براعة الاستهلال, بل سبقه كثير من اهل العلم, منهم الامام البقاعي والذي قال: " كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، ورعاية الجلال والجمال"[٥]

كما ذكر الطيبي ذلك بقوله:" أما المطلع، فحسنه أن "الفاتحة" كما ترى بلغت في حسن ألفاظها وتنوق معانيها غاية من الكمال، مع تضمنها معنى ما سيق الكلام لأجله وهو المسمى ببراعة الاستهلال"[١].

- ثانيا: بلاغة العدد:

من المعلوم أن عدد آيات سورة الفاتحة مع البسملة هو سبع آيات. وقد استنتج الفراهي رحمه الله من هذا العدد, اشارات بلاغية. وقبل الخوض في هذه الاشارات, نُعرّج على اختلاف المفسرين في عدد الآيات في سورة الفاتحة. اذ نقل الفراهي رحمه الله الاجماع على أن عدد آيات الفاتحة هو سبع آيات, مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ (الحجر: ٨٧)[٢]

---

[١] ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ), دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة
الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: ٧/ ١٣٣.

[٢] البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ), دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ٢/ ٥٥٩.

[٣] ينظر: نظام القران, للفراهي:٨٥-٨٦.

[٤] التحرير والتنوير: ١/ ١٣٥.

[٥] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ), دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ٢٢/ ٤٢٣.

[١] حاشية الطيبي على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ), تحقيق: إياد محمد الغوج, وآخرون, جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم, الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م: ١/ ٦٢١.

[٢] سورة الحجر الآية: ٨٧.

فقال: " اتفقت العلماء من السلف إلى الخلف على أن السبع المثاني هذه سورة الفاتحة"[٣]

الا أن دعوى الاتفاق الذي نقله الفراهي رحمه الله مردود بقول نُسبت الى ابن مسعود ﷺ وابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك، أن المراد بالآية هو السبع الطوال وهي سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس[٤].

وقيل ان معنى المثاني هو القرآن كله[١]. ومنه قول صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

فَقَدْ كَانَ نُورًا سَاطِعًا يهتدى به يخص بتنزيل المثاني الْمُعَظَّمِ[٢]

وقيل ان المثاني معاني القرآن السبعة أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون[٣].

الا أن الراجح أن السبع المثاني هي سورة الفاتحة لما ورد عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ قال: " كنت أصلي في المسجد، فدعاني ﷺ ... ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن»، قال: {الحمد لله رب العالمين} «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»"[٤]

كما ورد عن النبي ﷺ من حديث ابي هريرة ﷺ : (أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم)[٥].

وبالعودة الى مقصد ذكر عدد آيات سورة الفاتحة, قال الفراهي رحمه الله: وبعد هذا التمهيد والاحتياط أكشف بحوله تعالى حجبا مستورة. الحجاب الأول: يرفع عن سر عدد آيات الفاتحة. فاعلم أنه لم يصرح بعدد آيات سورة غير هذه، بل سماها الله تعالى بعدد آياتها فدعانا إلى التدبر فيه وللعدد اعتبار عظيم في الكتب المقدسة، وكذلك عند الحكماء جميع أمور العالم مقدر بالأعداد، وبمثل ذلك جاء القرآن العظيم حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (القمر: ٤٩)[٦]

ومثله : ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ (الرعد: ٨)[٧]

---

[٣] نظام القران, للفراهي:٨٦.

[٤] ينظر: تفسير الطبري: ١٤/ ١١٢ ؛ تفسير الماوردي: ٣/ ١٧٠؛ تفسير البغوي:٣/ ٦٥؛

[١] ينظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٠؛ تفسير البغوي: ٣/ ٦٥.

[٢] البيت لم أجده عند غير الماوردي والقرطبي. ينظر: تفسير الماوردي: ٣/ ١٧١؛ تفسير القرطبي: ١٠/ ٥٥.

[٣] ينظر: تفسير الماوردي: ٣/ ١٧١.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب التفسير, باب ما جاء في فاتحة الكتاب: رقم الحديث (٤٤٧٤), ١٧/٦.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب التفسير, باب قوله: {ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم}: رقم الحديث (٤٧٠٤), ٨١/٦.

[٦] سورة القمر: الآية: ٤٩.

[٧] سورة الرعد: الآية: ٨.

وهو بهذا يشير الى مقصد ذكر عدد الآيات في سورة الفاتحة دون السور الاخرى, للتأكيد على تدبر كل آية من هذه الآيات السبع. كونها تشتمل على مجمل معاني القرآن في التوحيد والأحكام، والجزاء، وطرق بني آدم، وغير ذلك[١].

ومن مقاصد عدد آيات سورة الفاتحة ما أشار اليه الفراهي رحمه الله أن درجات الأنبياء سبعة على عدد آيات سورة الفاتحة, وأن كل آية تمثل درجة من تلك الدرجات. ونص كلامه: " فاعلم أن في الأنبياء سبع درجات حسب آيات هذه السورة"[٢]

وقسم الآيات بحسب علاقتها بالانبياء عليهم السلام. وعلى النحو الآتي:

- "**الآية الأولى:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ، تشير إلى درجة محمد ﷺ "[٣]
- "**الآية الثانية:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ ، إلى درجة عيسى عليه السلام الا لما كان على غاية صفة الرحمة لوجوه ظاهرة، وخفية ..."[٤]
- "**الآية الثالثة:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ تذكرنا منزلة موسى كان على كمال العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..."[٥]
- "**الآية الرابعة:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ تذكار لعهد داود عليه السلام العلي لأن شعب الله قد دارت عليهم الدوائر ، فتداركهم بعون جديد، وأعطاهم ملكا عظيما ... "[٦]
- "**الآية الخامسة:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ ظاهرة الإشارة إلى درجة إبراهيم عليه السلام العلية فإن الصراط المستقيم هو التوحيد ..."[١]
- "**الآية السادسة:** إشارة إلى درجة نوح عليه السلام، لما نرى في القرآن والتوراة أن لا نبي يذكر قبل إبراهيم العلة إلا نوح العليا"[٢]
- "**الآية السابعة:** درجة الذين خرجوا من المغضوب عليهم إلى المرحومين، ومن الضالين إلى المهتدين ... متعلقة بالتوابين من اليهود والنصارى اللاحقين بالذين أنعم عليهم"[٣]

---

[١] ينظر: تفسير القرآن العظيم «جزء عم»: عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي, دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية, الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م: ٥.

[٢] نظام القران, للفراهي:١٠٠.

[٣] المرجع نفسه: ١٠٠.

[٤] المرجع نفسه: ١٠٠.

[٥] المرجع نفسه: ١٠٠.

[٦] المرجع نفسه: ١٠١.

[١] نظام القران, للفراهي: ١٠٢.

[٢] المرجع نفسه: ١٠٧.

[٣] المرجع نفسه: ١٠٧-١٠٨.

ويبدو أن المصنف قد ذهب بعيدا في مقصد الربط بين آيات سورة الفاتحة بالأنبياء, فمثلا قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ لا تشير ظاهرا الى درجة النبي محمد ﷺ , ولا قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ إلى درجة عيسى عليه السلام, وهكذا مع الآيات الأخرى. كما لم أجد هذا الربط في كتب التفسير السابقة.

المطلب الثاني: مقصد ربط سورة الفاتحة بالصلاة:

ارتبطت سورة الفاتحة في الصلوات المفروضة والنافلة. فجمهور الفقهاء أن الصلاة لا تصح بدون سورة الفاتحة, وهو قول المالكية والشافعية والحنابلة[٤]. وهي عند الحنفية واجبة وليست ركنا[٥].

وقد أطال الفراهي رحمه الله عن مقصد ارتباط سورة الفاتحة بالصلاة دون غيرها من السور.

ومن ذلك قوله بعد أن بين أنها جامعة لعلوم القرآن الكريم: " ... ومن هذا الذي قدمناه تبين لك حكمة وضع هذه السورة للصلاة فإن الذي قرأ الفاتحة كأنه قرأ جميع القرآن إجمالا ..."[١]

وهو يشير بذلك الى اجتماع العلوم القرآنية الرئيسة وهي التوحيد والشرائع والمعاد سورة الفاتحة كما بيناه في المطلب السابق. فضلا عن تضمن هذه " الثناء على الله تعالى، وتذكر رحمته، وربوبيته، ومعاهدته على اختصاصك إياه بالعبادة والاستعانة، ومن دعائه: لأن يهديك صراطه الذي استقام عليه من سبقت لهم منة النعمة من عباده الصالحين ... وكل ما تقرؤه من القرآن بعد الفاتحة له في النفس آثار محمودة تختلف باختلاف ما في القرآن من المعارف العالية، والحكمة البالغة، والعبر العظيمة، والهداية القويمة"[٢]

ويؤيد قول الفراهي رحمه الله ما ذكره ابن عاشور في بيان مقصد اختصاص سورة الفاتحة بالقراءة في كل ركعة من الصلوات, فقال: " فلا جرم يحصل من معاني الفاتحة تصريحا وتضمنا علم إجمالي بما حواه القرآن من الأغراض. وذلك يدعو نفس قارئها إلى تطلب التفصيل على حسب التمكن والقابلية. ولأجل هذا فرضت قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة حرصا على التذكر لما في مطاويها"[٣]

---

[٤] ينظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي (شرح مختصر المزني): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ), المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م: ٢/ ١٨٢؛ المغني لابن قدامة

[٥] ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق, وحاشية الشِّلْبِيِّ: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ), الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ), المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة, الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ: ١/ ١٠٦؛ البناية شرح الهداية: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ), دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان, الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م: ٢/ ١٥٧.

[١] نظام القران, للفراهي:٨٨.

[٢] تفسير المنار, لرشد رضا: ٢/ ٣٥١.

[٣] التحرير والتنوير, لابن عاشور: ١/ ١٣٤.

المبحث الثاني: مقاصد سورة الذاريات:

سورة الذاريات مكية بالاتفاق, وآياتها ستون آية[٤]. وسميت سورة الذاريات بهذا الاسم, لأن الله تعالى استهل ذكرها بالقسم بـ(الذاريات)، وهي الرياح التي تذر والتراب وغيره، أي تفرقه وتنقله من مكان إلى آخر.-

وهي اسم فاعل، وفعلها يذره ذرواً-[١]، والقسم بالذاريات دليل على أهميتها، وأنها من جند الله ﷻ ، فوردت بهذا الاسم في المصاحف، وفي كلام الصحابةﷺ وكتب السنة[٢].

المطلب الأول: مقصد المناسبة بين ختام سورة ق وفاتحة سورة الذاريات:

أشار الفراهي رحمه الله الى مقصد المناسبة بين سورة ق وسورة الذاريات, فلما ختم سبحانه سورة ق بالتذكير بالوعيد بالبعث والجزاء والجنة والنار في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤] [٣] وعظيم تلك الأحوال من قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩] [٤] إلى آخر السورة، افتتح سورة الذاريات بالقسم البالغ على صدقه ، فقال مناسباً بين القسم والمقسم عليه : ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ [الذاريات:١-٤][٥] أي الرياح التي من شأنها الإطارة والرمي والتفريق والإذهاب ، والسحب والسفن والملائكة على أن ما وعد به الناس من ذلك صادق، وأن الجزاء واقع ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:٥-٦][٦].

ونص كلام الفراهي رحمه الله :[٧] " وإنما نذكر ههنا من جهات ذلك العمود ما يختص بهذه السورة وما يبين الفرق بين هذه والتي قبلها. فاعلم أن في السابقة إثبات البعث وإبطال شبهتهم فيه، وفي هذه السورة إثبات الجزاء، فبدأ السابقة بقوله: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ ...[٨]

---

[٤] ينظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٤٧٩؛ تفسير البغوي: ٤/ ٢٨٠؛ تفسير ابن عطية: ٥/ ١٧١.

[١] ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/٧-٨ ؛ معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٨١٠ .

[٢] ينظر: تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن ، علي بن أحمد بن إبراهيم ،المهايمي (ت: ٨٣٥ هـ) ، وبهامشه: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، أبي بكر محمد بن عزيز ،السجستاني(ت: ٣٣٠ هـ) مطبعة بولاق ، مصر بإجازة محمد جمال الدين : ٢/٢٩٥ ؛ التفسير المنير, للزحيلي: ٢٧/٥ ؛ أسماء سور القرآن وفضائلها: منيرة محمد ناصر الدوسري ، تقديم : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية – الرياض: ١٤٢٦ هـ : ٤٠٢-٤٠٣.

[٣] سورة ق : الآية: ٤٤.

[٤] سورة ق : الآية: ١٩.

[٥] سورة الذاريات : الآية : ١ – ٤.

[٦] سورة الذاريات: الآية ٥ – ٦.

[٧] ينظر: نظام القرآن, للفراهي: ١٠٩-١٢١.

[٨] سورة ق : الآية: ١ – ٢.

ثم أتبع ذلك استدلالا على البعث وأشار إلى عاقبة المكذبين، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴿١٣﴾﴾ [١]... "

وبين أيضا أن سورة ق لم يفصل فيها قصص الأنبياء بل اكتفى بالإشارة إليها، وبذكر الدلائل الفطرية الواضحة على البعث. وختم السورة بأمر النبي بالصبر والصلاة والتذكير. فجاءت سورة الذاريات بعدها لتكون مكـــملة للتفاصيل المذكورة فيما يتعلق بقصص الأنبياء[٢].

المطلب الثاني: مقاصد التوحيد:

أشرنا في الفصل السابق الى مقاصد توحيد الله تعالى بشكل عام. وفي هذا المطلب نخصص البحث في مقاصد التوحيد في سورة الذاريات.

فلما أقسم بما له من المقدورات لمن وقف مع المحسوسات المشهورات في بداية السورة ، فترقوا بذلك إلى أعلى الدرجات، وانكشف انكشافاً تاماً، وعلم أن في خزائنه سبحانه كل ما أخبرت عنه به الرسل من وعد ووعيد. قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢٣].

فقسم بنفسه فقال: ﴿فَوَرَبِّ﴾ أي مبدع ومدبر، وقال: ﴿ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الذي توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وتقدم الأقسام عليه أنه صادق فقال : ﴿لَحَقٌّ ﴾ أي ثابت يطابقه الواقع فقد جمع الحق مع الصدق. فأمتن الله تعالى وأكد أمتنانه بما قرر من القسم. وكل ذلك يدل على مقاصد وجوب توحيد الخالق ﷻ.[٣]

كما جيء بلفظ الموقنين جمعاً في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴿٢٠﴾﴾ لأن الموقن لا يغفل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شيء آيات دالة، وأما الغافل فلا يتنبه إلا بأمور كثيرة فيكون الكل له كالآية الواحدة[١].

كما خصص قوله تعالى: ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴿٢٠﴾﴾ بكون الآيات لهم مع أن الآيات حاصلة للكل فإذا آيات الأرض لم تفدهم لأن اليمين بقوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴿١﴾﴾ [الذاريات: ١] دلت على سبق إقامة البينات وذكر الآيات ولم يفد فقال فيها: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴿٢٠﴾﴾ وإن لم يحصل للمصر المعاند منها فائدة ، والجواب الثاني: وهو الأصح أن هنا الآيات بالفعل والاعتبار للمؤمنين أي حصل ذلك لهم وحيث قال لكل معناه إن فيها آيات لهم إن نظروا وتأملوا. ولأنهم الذين انتفعوا بدلالتها فأكسبتهم الإيقان بوقوع البعث[٢].

وأوثر وصف الموقنين في الآية : ﴿ لِّلْمُوقِنِينَ﴿٢٠﴾﴾ دون أن يقال الذين أيقنوا ؛ لإفادة أنهم عرفوا بالإيقان. وهذا الوصف يقتضي مدحهم بثقوب الفهم لأن الإيقان لا يكون إلا عن دليل ودلائل هذا الأمر نظرية. ومدحهم

---

[١] نظام القرآن, للفراهي: ١٠٩-١٢٠.

[٢] ينظر: نظام القران, للفراهي:١٢٠-١٢١.

[٣] ينظر: ينظر: نظام القرآن, للفراهي: ١٣٣-١٣٦.

[١] ينظر: تفسير الرازي: ١٧١/٢٨؛ نظام القرآن, للفراهي: ١٣٤.

[٢] ينظر: نظام القرآن, للفراهي: ١٣٢-١٣٤.

أيضاً بالإنصاف وترك المكابرة لأن أكثر المنكرين للحق تحملهم المكابرة أو الحسد على إنكار حق من يتوجسون منه أن يقضي على منافعهم[٣].

وقوله تعالى : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ أتى بصيغة الخطاب لأنها أظهر لكون علم الإنسان بما في نفسه أتم[٤]. ومقصد تقديم قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ على متعلقه ؛ للاهتمام بالنظر في خلق أنفسهم ، وللرعاية على الفاصلة. وفيه دلالة على احتياج العبد لربه وافتقاره اليه, وهذا هو التوحيد[٥].

وفي خلاصة هذا المطلب نجد أن الآيات المذكورة في سورة الذاريات والتي تناولناها اشتملت على عدة مقاصد. أهمها هو لفتة العبد إلى آيات الله في الأرض وفي الأنفس وتوجيه إلى السماء في شأن الرزق المكتوب والحظ المقدور. وليلفت نظرهم في دلائل التوحيد وقدرة الله التي في الأرض والأنفس، ثم أقسم برب السماء والأرض إن ما توعدون من البعث والجزاء حق لا شك فيه، كما لا شك في نطقكم حين تنطقون. وتتضمن بيان الانتباه والتوجيه في دلائل الوحدانية والقدرة في الكون من السماء والأرض وخلق الإنسان ، والرزق بيد الله وحده. وعدم الغفلة من ذلك، وغيرها من المقاصد المقتضية توحيد الله تعالى[١].

المطلب الثالث: مقاصد البعث ووقوع المعاد.

ابتدأت سورة الذاريات بقسم الله تعالى في الآيات الأولى الأربع. على أن وقوع البعث وأنه آت لا محالة. قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦﴾ [الذاريات: ١– ٦] .

وهذا النوع من القسم يعرف بجمع المؤنث السالم, ولم يقسم بجمع المذكر السالم في أي موضع من القرآن الكريم مع أن المذكر أشرف، وذلك لأن الجمع السالم, بالواو والنون في الأمر الغالب لمن يعقل، وأن القسم بهذه الأشياء ليس لبيان التوحيد إلا في صورة ظهور الأمر فيه، وحصول الاعتراف منهم به، ولا للرسالة لحصول ذلك في صور القسم بالحروف والقرآن. بقي أن يكون المقصود إثبات الحشر والجزاء، لكن إثبات الحشر لثواب الصالح، وعذاب الصالح، ففائدة ذلك راجع إلى من يعقل، فكان الأمر يقتضي أن يكون القسم بالمؤنث[٢].

ومن مقاصد الآيات المذكورة أن الله تعالى أقسم بالذاريات: أي الرياح، وبالحاملات أي السحاب، وبالجاريات أي السفن، وبالمقسمات أمرا أي الملائكة[٣]. على ما يسميه الفراهي رحمه الله بالدينونة وقد سبق في الفصل السابق أنه يريد بها يوم القيامة, يوم يحاسب الله تعالى عباده ويجازيهم على أفعالهم برحمته. فبعد قسمه بكل ما ذُكر قال:

---

[٣] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٥٢ –٣٥٣.

[٤] ينظر: تفسير الرازي: ٢٨/ ١٧٢.

[٥] ينظر: نظام القرآن, للفراهي: ١٤٤.

[١] ينظر: الجامع لأحكام القرآن:١٧/ ٣٩–٤٤ ؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ١٤٧– ١٤٨؛ البحر المحيط: ٨/ ١٣٥ – ١٣٦؛ في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٧٧– ٣٣٨٢.

[٢] ينظر: تفسير الرازي: ٢٨/ ١٦٠.

[٣] ينظر: تفسير السمعاني: ٥/ ٢٥٠؛ تفسير ابن عطية: ٥/ ١٧١؛ تفسير ابن جزي: ٢/ ٣٠٦.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ . أي" ما وعدكم الله ﷻ على لسان رسله وأقام عليه دلائل بينة وقد كثر في القرآن أن القيامة والبعث والجزاء حسب الأعمال الحسنة والسيئة كل ذلك وعد من تعالى"[١]

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ فالعطف بالواو في (وإن) هو " من قبيل عطف الخاص على العام أو الجزء على الكل. وذلك يكون لبيان الاعتناء بالمعطوف وهو ظاهر ههنا، فإن الدين أي الجزاء هو المقصود من البعث بعد الموت كما صرح بذلك في كثير من المواضع".[٢]

ثم أقسم الله تعالى بالسماء ذات الحسن والجمال التي تدل على عظمة صانعها, على أن اختلاف الكافرين في وقوع يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ [الذاريات: ٧-٩] .

والْحُبُكِ يعني أن السماء حُبِكَتْ بِالْخَلْقِ الْحَسَنِ، وحُبِكَتْ بالنجوم والكواكب, وطرقها ومداراتها. أو حبكت بالسحب[٣]. وهذا القسم العظيم من الله تعالى على أن الناس مع كل مايرونه من عظيم خلقه وابداعه فانهم مازالوا يختلفون في وقوع الآخرة[٤].

وقد فسر الفراهي رحمه الله قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ بأنه الاختلاف في أمر وقوع الآخرة[٥].

الا أن المفسرين اختلفوا في مراد الله تعالى في هذه الآية على أقوال:

أولا: المراد بالاختلاف هو اختلاف الناس في القرآن، فمنهم مصدق به ومنهم مكذب[٦].

ثانيا: الاختلاف في صدق النبي محمد ﷺ.[٧]

ثالثا: مراده ان الكافرين في قول متفرق، وعلى مذهب متناقض؛ فإنهم كانوا يعبدون أشياء على هواهم، فإذا هووا شيئا آخر تركوا ذلك وعبدوا غيره، وكذلك يقولون قولا بلا حجة، ثم يرجعون إلى قول آخر، لا ثبات لهم على شيء[١].

رابعا: الاختلاف في اليوم الآخر[٢]. وهذا ما رجح الفراهي رحمه الله.

مع أن الآية تحتمل جميع الوجوه المذكورة آنفا. والله تعالى أعلم. وهذا ما أشار اليه الرازي بقوله: " قوله تعالى: إنكم لفي قول مختلف وفي تفسيره أقوال مختلفة كلها محكمة"[٣]

---

[١] نظام القران, للفراهي:١٢٣.

[٢] ينظر: ، نظام القران, للفراهي:٢٤٧.

[٣] ينظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٤٨٦؛ تفسير السمرقندي: ٣/ ٣٤٢؛ تفسير البغوي:٤/ ٢٨١؛ تفسير البيضاوي: ٥/ ١٤٦.

[٤] ينظر: نظام القران, للفراهي:١٢٥.

[٥] ينظر: نظام القران, للفراهي:١٢٥.

[٦] ينظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٤٩٠.

[٧] ينظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٣٣؛ أضواء البيان, للشنقيطي: ٧/ ٤٣٨.

[١] ينظر: تفسير الماتريدي: ٣٧٦/٩.

[٢] ينظر: تفسير القرطبي : ٣٣/١٧.

[٣] تفسير الرازي: ١٦٣/٢٨.

وعلى ما رجحه الفراهي رحمه الله من أن الآية تشير الى اختلاف الناس في أمر وقوع الآخرة. فيكون مقصد الآية هو اثبات وقوع الآخرة, وأن الناس لا ينبغي أن يكفروا بها لما رأوا من عظيم خلق الخالق المبدع, وهو الذي أخبر بوقوعها, ومحال على المبدع العظيم أن يقول قولا يخالطه باطل.

وخلاصة القول في الآيات السابقة هي الله تعالى وصف السماء بأنها ذات الحبك أي الآيات المحتبكة بطرائق النجوم المحكمة ، والحسنة الصنعة، والجيدة الرصف والزينة ، حتى كأنها منسوجة ، إنكم لفي قول مختلف يعنى في أمر الآخرة, يأفك عنه من أفك ؛ أي : يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب[٤].

كما أن المقصد من الكناية في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴿٨﴾﴾ هو الكناية عن لازم الاختلاف وهو التردد في الاعتقاد، ويلزمه بطلان قولهم وذلك مصب التأكيد بالقسم وحرف (إن) و(اللام)، وفائدة الكناية هنا أنه لما خصص هذا بأنه هو الذي صرف أفهم أن غيره لم يصرف ، فكأنه قال :لا يثبت الصرف في الحقيقة إلا لهذا وكل صرف دونه يعتبر بمثابة المعدوم بالنسبة إليه[٥].

وجيء بالمجاز في قوله تعالى : ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴿٩﴾﴾ لما كان هذا الاختلاف مما لا يكاد يصدق لأنه لا يقع فيه عاقل، بين سببه بأنهم مغلوبون عليه بقهر يد القدرة فقال : ﴿يُؤْفَكُ﴾ أي يصرف بأيسر أمر وأسهله عن سنن الاستقامة، ويقلب من وجهه لقفاه ﴿عَنْهُ﴾ أي يصدر صرفه عن هذا القول مجازاً لما يلزمه من عاره[١].

و"هذه جملة مستقلة وليست بصفة لقول مختلف. والمعنى أنه يصرف عن الإيقان بالدينونة من أصيب في بصيرته، فإن قلب الشيء ظهرا لبطن. ومنه "الإفك" للكذب، و"المأفوك"[٢]

وقد توعد الله تعالى المكذبين لليوم الآخر باللعن في الدنيا والعذاب في الآخرة, كما في قوله تعالى: ﴿أُفِكَ﴾ أي الكذابون، والخرص: أي الظن الذي لا حجة لصاحبه على ظنه، فهو معرض للخطأ في ظنه، وذلك كناية عن الضلال عمداً أو تساهلاً، وهو أصل محل الذم في هذه الآية[٣]. ثم بين صفتهم فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴿١١﴾﴾ والغمرة ما ستر الشيء وغطاه. ومنه نهر غمر أي يغمر من دخله، ومنه غمرات الموت. وساهون أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة[٤].

وقد بين الفراهي رحمه الله نكتة لغوية في هذه الآية تدل على مقصد الايمان بالآخرة فقال: " . "ساهون" بعد خبر. وفائدته بيان عدم انفكاك الغفلة حتى أنهم لا يشعرون بما ينبغي أن يشعروا به. وهذا ذكر حالتهم التي كانت أصل دائهم المذكور، أي هم منغمسون في الغفلة، والشهوات ولذلك لا يذكرون العاقبة. ومفاد الجملة التشنيع

---

[٤] ينظر: تفسير القشيري: ٣/٤٦٠ –٤٦١؛ تفسير الزمخشري: ٤/٣٩٩– ٤٠٠.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦/٣٤٢؛ إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٩/٣٠٤–٣٠٥.

[١] ينظر: تهذيب اللغة, للأزهري:١٠/٢١٥؛ نظم الدرر, للبقاعي:٧/٢٧٣.

[٢] نظام القران, للفراهي:١٢٦.

[٣] ينظر: العين, للفراهيدي:٤/١٨٣؛ تفسير الزمخشري: ٤/ ٣٩٧؛ تفسير ابن جزي:٢/ ٣٠٧.

[٤] ينظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٣٤؛ نظام القران, للفراهي:١٢٦.

لشكهم الناشئ من كمال الجسارة وعدم المبالاة بالآخرة وبما جاء به المنذرون من ربهم"[٥] كما أن المقصد من قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣﴾ هو جواب لسؤالهم جرى على الأسلوب الحكيم من تلقي السائل بغير ما يتطلب إذ هم حين قالوا في الآية السابقة: ﴿ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢﴾ [الذاريات: ١٢] ، أرادوا التهكم والإحالة فتلقي كلامهم بغير مرادهم لأن في الجواب ما يشفي وقع تهكمهم[١].

المطلب الرابع: مقصد بيان جزاء المتقين وصفاتهم.

ورد ذكر المتقين وأوصافهم وجزاؤهم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات: ١٥ – ١٩].

فبدأ الله تعالى بجزاء المحسنين وبين أنهم في نعيم الجنات, وعيونها. أي وتكون العيون وهي الأنهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها ابصارهم لا انهم فيها. آخذين ما أعطاهم ربهم، من الخير والكرامة، إنهم كانوا قبل ذلك، ثم بين مقصد هذا الجزاء كونهم كانوا محسنين قبل دخولهم الجنة، في الدنيا. فكانوا يهجعون قليلا من الليل اشارة الى عبادتهم في الليل من صلاة وذكر واستغفار. فضلا عن الصدقة والزكاة التي يصرفونها لمستحقيها ابتغاء لمرضات الله تعالى[٢].

وأتى بالكناية والمجاز في قوله تعالى : ﴿ ءَاخِذِينَ ﴾ فالأخذ مستعمل في صريحه وكنايته كناية رمزية عن كون ما يؤتونه أكمل في جنسه لأن مدارك الجماعات تختلف في الاستجادة حتى تبلغ نهاية الجودة فيستوي الناس في استجادته، وهي كناية تلويحية. وكذلك فالأخذ مستعمل في حقيقته ومجازه لأن ما يؤتيهم الله بعضهم مما يتناول باليد ، وبعضه لا يتناول باليد وذلك أكثر من الأول. فإطلاق الأخذ على ذلك استعارة بتشبيه المعقول بالمحسوس . فاجتمع في لفظ ﴿ ءَاخِذِينَ ﴾ كنايتان ومجاز[٣].

كما أشار الفراهي رحمه الله الى مقصد ورود هذه الآيات بعد ذكر المكذبين ليوم القيامة بعنوان أسماه (نظم هذه الآيات ودلالتها وموقعها مما قبلها و مما بعدها) فقال: " جمع بين الكافرين والمؤمنين على سبيل التقابل، ومن الإيجاز أن دل بما ذكر على ما لم يذكر. فإذ وصف المنكرين بأنهم في غمرة الغفلة علمنا أن المتقين على بصيرة ويقين من لقاء ربهم، ونبه على ذلك بما سماهم المتقين فإن التقوى هي أصل البصيرة كما هو مبسوط في موضعه. وكذلك إذ وصف المتقين بالإحسان والصلاة والزكاة علمنا أن المنكرين اشحاء قاسية القلوب ..."[١]

---

[٥] نظام القران, للفراهي:١٢٦.

[١] ينظر: نظام القران, للفراهي:١٢٧.

[٢] ينظر: تفسير القشيري: ٣/ ٤٦٣؛ تفسير البغوي: ٤/ ٢٨٢؛ تفسير النسفي:٣/ ٣٧٣؛ نظام القران, للفراهي:١٣٠-١٣١.

[٣] ينظر: نظام القران, للفراهي: ١٣١.

[١] نظام القران, للفراهي:١٣٢.

وهو يشير الى الأسلوب البلاغي المعروف بـ (الطباق) ويسمى أيضا (المطابقة) و(المقابلة) و"هي الجمع بين الشيء وضده، كالسواد والبياض والليل والنهار"[٢] والمقابلة هنا وقعت بين الكافرين والمتقين. ولا شك أن أسلوب المقابلة هو من الأساليب البلاغية التي قصد اليها القرآن الكريم لبيان الفرق بين الأمرين. فبيان الشيء مقترن ببيان ضده.[٣] كما قال الشاعر:

فالوَجْهُ مثلُ الصُّبْحِ مُبْيَضٌّ والشَّعْرُ مثـــــلُ اللَّيْلِ مُسْوَدُّ

ضِدَّان لمَّا اسْتَجْمَعا حَسُنا والضّدُّ يُظْهِر حسنَه الضّدُّ[٤]

ولا يخفى ما للطباق من أهمية جمالية وفائدة للمتلقي فـ" العنصر الجمالي في الطباق هو ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أن المتقابلات أقرب تخاطرا إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات"[٥]

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. أما بعد...

بعد أن مَنَّ الله علينا بإتمام هذا البحث, يمكننا ان نجمل أهم ما توصلنا اليه بما يأتي:

١. ابراز مكانة الامام الفراهي رحمه الله وأنه من العلماء القلائل في الهند الذي جمع بين الثقافة العربية والغربية مما أكسبه شهرة واسعة, وتأثيرا كبيرا.
٢. تحرر الفراهي رحمه الله من التقليد كما صرح به. الا أنه يقلد مذهب أبي حنيفة رحمه الله في الفروع.
٣. تميز الفراهي رحمه الله في التقسيم الفريد لتفسيره نظم القرآن.
٤. ان العصر الذي عاش فيه الامام الفراهي رحمه الله هو عصر كثر فيه الخرافات والبدع, وكان للإمام الفراهي رحمه الله دور في محاربة البدع من خلال التأكيد على التمسك بالقرآن الكريم والعلوم المتعلقة به.
٥. أفاد الفراهي رحمه الله من علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة, فضلا عن أصول الفقه وعلم الكلام في تفسيره.

المصادر

- "مفردات القرآن" للفراهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م: ١٦-٢١.
- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ), المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م: ٢/ ١٨٢؛ المغني لابن قدامة

---

[٢] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ), المحقق: مصطفى جواد, مطبعة المجمع العلمي ١٣٧٥هـ: ٢١١.

[٣] ينظر: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ), دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ٢/ ٣٧٥.

[٤] الأبيات منسوبة لدوقلة المنبجي. ينظر: شرح ديوان المتنبي: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ), المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي, دار المعرفة – بيروت (دون ط؛ ت): ١/ ٢٢.

[٥] البلاغة العربية, لعبد الرحمن حَبَنَّكَة: ٢/ ٣٧٥.

- إمعان في أقسام القرآن: للإمام عبدالحميد الفراهي رحمه الله، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م: ص: ١٥.
- البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ), دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م: ٢/ ٣٧٥.
- تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن ، علي بن أحمد بن إبراهيم ،المهايمي (ت: ٨٣٥ هـ) ، وبهامشه: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، أبي بكر محمد بن عزيز ،السجستاني(ت: ٣٣٠ هـ) مطبعة بولاق ، مصر بإجازة محمد جمال الدين : ٢/٢٩٥ ؛ التفسير المنير, للزحيلي: ٥/٢٧ ؛ أسماء سور القرآن وفضائلها: منيرة محمد ناصر الدوسري ، تقديم : فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية – الرياض: ١٤٢٦ هـ : ٤٠٢-٤٠٣.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق, وحاشية الشِّلْبِيِّ: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ), الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ), المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة, الطبعة: الأولى، ١٣١٣ هـ: ١/ ١٠٦؛ البناية شرح الهداية: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ), دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان, الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م: ٢/ ١٥٧.
- تتمة الأعلام للزركلي [وفيات (١٣٩٦ – ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٦ – ١٩٩٥ م): محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ: ٣/ ٢٣٦.
- تفسير السمرقندي: ١/١٥؛ تفسير الزمخشري:١/١؛ تفسير الرازي: ١٩/١٥٩؛ تفسير ابن جزي:١/٦٣.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ), المحقق: مصطفى جواد, مطبعة المجمع العلمي ١٣٧٥هـ: ٢١١.
- حاشية الطيبي على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ), تحقيق: إياد محمد الغوج, وآخرون, جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم, الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م: ١/ ٦٢١.
- حضارات الهند: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٥٧م: ٥٥٤.
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م: ٣/٢٩٠.
- ذكر فراهي: شرف الدين الإصلاحي، الدائرة الحميدية، سرائ مير، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م: ٥٠.
- الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ::٩.
- زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ), دار الكتاب الإسلامي (دون. ط؛ ت): ١/ ٢١٧؛ واهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن

عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ), دار الفكر, الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ١/ ٥١٨؛

- شرح ديوان المتنبي: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ), المحقق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي, دار المعرفة - بيروت (دون. ط؛ ت): ١/ ٢٢.
- صحيح مسلم, من حديث ابي هريرة ﷺ , كتاب الصلاة, باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة: رقم الحديث (٣٩٥), ١/ ٢٩٧.
- عبد الرحمن بدوي (المتوفى: ١٩٩٣م)، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة: الثالثة: ٦٢١.
- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ), دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ٢/ ٥٥٩.
- عبد الماجد الدريابادي، تقديم: سيد سليمان الندوي، ترجمة: سمير عبد الحميد ابراهيم، المجلس الاعلى للثقافة، الجزيرة - القاهرة ، ٢٠٠٤م:: ٣٩-٤١.
- المسلمون في الهند: أبو الحسن علي الحسني، الندوي(المتوفى:١٤٢٠هـ)، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ١٤٠.
- مفردات القرآن للفراهي، تحقيق د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ببيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م: ص: ٤١.
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: ١٣٤١هـ)، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م: ١٢٦٧/٨.
- نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: العلامة عبدالحميد الفراهي رحمه الله، الدائرة الحميدية - الهند; الطبعة: الأولى: ص: ١٥.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ), دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ٢٢/ ٤٢٣.
- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ), دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ: ٧/ ١٣٣.
- الهداية, لمكي بن ابي طالب: ٧٧/١؛ تفسير القشيري: ٢٧٩/٢؛ تفسير البغوي: ٧٠/١؛ تفسير ابن كثير: ١٨/١.